فيه ناس بتمنّ عليك بمعرفتها ووجودها في حياتك، وطول الوقت مستكترة نفسها عليك، وشايفة إنك لازم دائما وأبدا تعمل المستحيل عشان تفضل مستحق لنعمة معرفتها، بالتالي لما تتسحل في حاجة، أو دوامة الحياة تجرجرك من شعرك، أو الزمن يريّح على أمّ رأسك، بيعتبروا دا اعتداء مقصود وموجّه لشخصهم الكريم، فبيتّخذوا مواقف غاية في الحدة والغشومية معاك، مهما كان العشم والعشرة والذكريات المشتركة اللي ما بينكم.

أما "التمس لأخيك سبعين عذرا" فبتقلب معاهم إلى: اتلكك لأخيك على أصغر هفوة، وكمّل على اللي باقي منه، وخلّص أي ذنب حد ارتكبه في حقك من جتته!

فإن رأيتَ مثل هؤلاء، فاهرب منهم كما يهربُ السليمُ من الأجرَبِ!

مهما كان الشخص اللي اصطفيته عشان تحكي له أسرارك وتحط إيده على مواجعك النفسية ومخازيك -وحتى لو كان في نفس محنتك- عمره ما هيقدر يتحرّر من الحكم الأخلاقي والديني عليك، وهتلاقيه في وسط ما إنت منهار أو بتتوجع يشاور بإيديه ويقول لك: ده غلط وده صح وده حلال وده حرام!

هـو مـش فاهـم إنـك عـارف كل ده وبتتكـوي بيـه ليـل نهـار، وإنـه مـش جـاي لعـم الشـيخ يوعظـه، وحتـى لـو عـم الشـيخ وعظـه هـو مـش في المـود ده، وإذا كان بيعمـل شيء غلـط فمـش بإرادتـه ولا مبسـوط بيـه.

في بعـض مراحـل الخلـل النفـسي والانهيـار، سـاعات بيُخيـل إلينـا إن مشـينا الصـح وقيمنـا ومبادئنـا هـي الـلي وصلتنـا لـكل الخسـارات والفقـد الـلي بنكابـده، فنقـرّر نجـرب الطريـق التـاني.. يمكـن. الموضـوع بيبقـى فيـه جـزء قهـري ولا إرادي كبـير جـدًا حتـى وإحنـا واعيـين إحنـا بنعمـل إيـه، وممكـن -بـلا شـك- يُفـضي بينـا لمزيـد مـن الخسـارة، لكـن مـع ذلـك بنبقـى محتاجـين نجـرّب، ونطـرق كل الأبـواب المتاحـة والممكنـة.

ورغـم إن الديـن مكـوّن أسـاسي في حياتنـا، ولا مفـر مـن الانصيـاع تحـت لوائـه في النهايـة، لكـن سـاعات بتخـرج شـوية عـن إطـاره، بتغلـط، بتحيـد عـن الطريـق، مـش عشـان إنـت كافـر ومـارق وابـن كلـب قـدر مـا هـي محاولـة للتخفـف شـوية، لعـزل العوامـل وتحييـد الحاجـات، ورؤيـة الدنيـا بمنظـور جديـد والتجربـة، والأكيـد إن كل واحـد ليـه حسـاباته وخياراتـه في الحيـاة، ومنظومتـه القيميـة والاجتماعيـة، والحاجـات الـلي مـا يقـدرش يخسرهـا، ويقينـا مـا حـدش هيحاسـب عـلى مشـاريب حـد.

بتكلـم عـن النـاس العاديـة، مـش أوليـاء اللـه الصالحـين، الـلي بركعـة يحلـوا كل مشـاكل الدنيـا، وبسـجدة يصلـوا لليقـين وخلاصـات الأشـياء، بتكلـم عـن ملـح الأرض، المهزومـين والمحبطـين والخائفـين والمجروحـين والمطعونـين والضالـين، الـلي بيحبـوا ربنـا وموقنـين مـن رحمتـه لآخـر المـدى، وواثقـين إنـه مـش واقـف لهـم عـلى الواحـدة، ولا مسـتني لهـم غلطـة عشـان يخلّيهـم رمـاد تـذروه الريـاح، لكـن هيمـد لهـم بسـاط التجربـة وهيصـبر عليهـم لحـد مـا يكتملـوا.

ولما حد يفتح لك صدره ويفضفض لك -بعد سنين كتمان- في الغالب ما بيبقاش عايز منك غير إنك تسمعه، يعني لا تحل له حاجة ولا توعظه ولا تباهي بطهارتك في مقابل نجاسته ولا تكذب وتقول له كل شيء هيبقى كويس، فخلي بالك: الكلام اللي هتقولهوله في لحظة المكاشفة بالوجع واللهجة والتون بيفرقوا جدا جدا جدا، لأن كلمة واحدة غلط تتقال هتقفله منك للأبد، وتخليه يهرب، مع إنك يمكن تكون آخر إيد ممدودة له!

إحنا مش ملايكة ولا أنبيا ولا معصومين من الغلط، والله العظيم إحنا في منتهى منتهى الهشاشة، منتهى الضعف والاحتياج، منتهى اليأس من كل حاجة وأي حاجة، منتهى التعلق بما هو أقل من القشة، وقرار الكلام مع حد أصلا والفضفضة ليه زي الجبل على قلبنا لأننا عارفين إن مفيش حاجة هتتغير، بس بنعمله، عشان نقول لنفسنا إننا جربنا وفتحنا قلبنا للناس وحاولنا لآخر لحظة!

والقرارات اللي دايما ناخدها بالابتعاد عن الناس، وقفل حياتنا على روحنا، بتبقى جادة وحقيقية وممضية بالقهر والمكابدة، ما بتبقاش تهويش ولا عشان الناس تقول لنا: ما تمشوش، إنتو حلوين وكيوت وإحنا بنحبكم، لكن اللي بيخلينا نرجع تاني كلمة افتكرناها لحد فرقت معانا، ذكرى اتحفرت عميقا في القلب أو الأمل- أفيون القلوب- ابن الكلب الأمل، إن فيه حاجة هتتغير!

فما تقطعوش إيد حد اتمدت لكم، وما تحكموش على حد، إنتو -حرفيا- ما تعرفوش أي حاجة عننا، ولا ما كابدناه عشان نقف قصادكم النهارده، ولا الصراعات والوحوش والعفاريت والمواجع اللي بتلتهم

روحنا ليل نهار، خليكم على الحافة، وبينا وبينكم المودة والرحمة والونس.. بس.

عندما يخذلنا شخصٌ، تشيخ كل الأزهار التي زرعها بداخلنا فجأة!

طول الوقت بنبعت رسايل استغاثة خفية للي حوالينا، وعلى حسب قربهم مننا وإيمانهم بإننا نستحق، بيتلقوها أو بتضيع وتتبدد في الفضاء السرمدي.

الرسايل مش بس كلام؛ نظرات، ابتسامات، دموع، ستاتيوس على فيس بوك، صريخ، دبدبة بالرجلين، هذيان وصوت عالي مش مفهوم، شتيمة، اتصال في أنصاص الليالي من غير ما نقول كلمة واحدة، صورة عملنا لها لايك، طريقة معينة في عبور الشارع بلا مبالاة قدام سيل العربيات، مسكتنا للشوكة، شربنا للسجاير وإحنا بنكرهها، كتر الشطة وإحنا ما بنحبهاش، عدد علب المناديل في إيدينا!

غالبا بنبقى عايزين حد بعينه يقرانا، ويفهم، ويمد لنا إيده، حد بيبقى بالنسبة لنا هو العالَم والتاريخ والحقيقة المطلقة للوجود وتجلي الله الحق، بس مش قادرين نقول له، أو خايفين، أو محرجين، ومتعشمين إن تاريخنا المشترك يتحرك تحت جلده وينبهه إن فيه هنا روح -كانت تخصه في يوم- بتتحرق فعليا ومحتاجة نظرة.

بنبقـى وصلنـا لنهايـات كل شيء؛ العشـم والخـذلان والصـبر والانتظـار والأمـل والمناجـاة والحلـم والفتـوح والتوقـع، ومسـتنيين -للمـرة الأخـيرة- انفراجـة، مسـاحة حـرة لالتقـاط أنفاسـنا بجـد، بُـشرى، إثبـات إننـا فارقـين مـع حـد ونسـتحق، تواطـؤ كـوني في صالحنـا ولـو مـرة، عشـان نقـدر نبـدأ مـن جديـد ونكمـل مكابـدة الحيـاة ونسـدد فواتـير الوجـع!

لكـن في الغالـب بيكـون هـو الوحيـد الـلي مـا بيفهمـش الرسـالة، أو بيفهمهـا ويطنـش، أو بيفهمهـا وتاخـده العـزة بالإثـم وينتهزهـا فرصـة لتصفيـة الحسـابات، أو بيفهمهـا ويـدرك توحـش احتياجنـا بـس خـلاص مـا بنبقـاش فارقـين معـاه، فبيسـد ودانـه ويكمـل حياتـه عـادي، فبنـزداد انكفـاء عـلى ذواتنـا، وناخـد أحزاننـا بالحضـن، ونرجـع ١٠٠ سـنة لـورا في سـلم التطـور الإنسـاني ونلفـظ كل النـاس، ومـا تبقـاش أي حاجـة فارقـة معانـا!

ومـن الجحـود للنكـران للتجـبر في قطـم رقبـة العلاقـات للخـذلان لاستسـهال كـسر القلـوب للعـب بمشـاعر الصادقـين للوحـدة المهلكـة لاعتقادنـا المـروع إننـا دايمـا صح ونملـك الحقيقـة المطلقـة لدقـات السـاعة الـلي مـا بتقفـش، دايمـا بفكـر: أكيـد ربنـا مـش هيدخلنـا النـار في الآخـرة.. نـار النـاس في الدنيـا قامـت بالواجـب وزيـادة، ولا يُعاقـب مؤمـن عـلى الذنب نفسه مرتين أبدا.

إحنـا مـا بنحسّـش بقيمـة الأشـخاص في حياتنـا غـير بعـد مـا بيمشـوا، بنبقـى أقويـا جـدًا وإحنـا بنتلـكك لهـم ونفتـح البـاب ونقـول لهـم بـكل جـبروت: "اتفضّلـوا.. مـا عدنـاش محتاجـين خدماتكـم"، أو نفضـل نخـذل فيهـم لحـد مـا يفتحـوا البـاب مـن نفسـهم ويفوتـوا!

وبعـد شـوية، آثـار إيديهـم عـلى أرواحنـا بتبـان، وبتطالـب بالإشـباع الـلي كان متحقـق بوجودهـم، أرواحهـم الهائمـة والشـوارع والأغـاني والأكل والضحـك والمواقـف والدمـوع والوعـود والأحـلام الـلي جمعتنـا يـوم، بترفـع راسـها جوانـا وتلومنـا عـلى الفقـد مـن غـير صـوت!

بإيدينـا بنـزوّد وجعنـا، ونضعـف مقاومتنـا، ونفتـح مسـارات لا حـصر لهـا لنفـاد الطاقـة وتشـتتها، وعشـان نهـرب مـن وجـع الضمـير، بنعمـل عمليـة إحـلال وإبـدال، بنـدوّر عـلى غيرهـم -وغالبـا بيبقـى فيهـم شـبه مـن بعـض!- لكـن مهـما اكتملـت الحكايـات الجديـدة بتاعتنـا، بيبقـى فيهـا حتـة ناقصـة، قطعـة بـازل مـش في مكانهـا، ليهـا علاقـة بالـروح والعـشرة والصفـاء والثقـة وانبهـار البدايـات، ومهـما لقينـا بديـل، عمـر الحاجـات مـا بتبقـى زي أول مـرة أبـدا!

والطريـق التـاني إننـا ننكفـئ عـلى ذواتنـا، نقفـل طريـق أي علاقـة جديـدة، ونـدي الفرصـة لوحدتنـا تتوحـش، وتلتهـم الأخـضر واليابـس تمامـا، وتسـيبنا عظـم بـلا لحـم ولا مشـاعر ولا رجـا!

أمـا الطريـق التالـت فإننـا نحـاول نوصـل الـلي اتقطـع، ونرمـم الـلي اتصـدع، بـس خطورتـه إننـا لـو مـا كنـاش صادقـين وجاديـن المـرة دي، وقادريـن عـلى تحمـل المسـؤولية والاعـتراف بتقصيرنـا، فالأمـر هيبقـى هـزلي جـدا، ومـش بـس ملـوش مسـتقبل لكنـه كـمان هيشـوّه حتـى المـاضي الـلي كنـا بنتسـند عليـه مـن حـين لآخـر!

القلـوب أمانـات، والمشـاعر مراكـب سـايرة في نـور اللـه مـن مـرسى إلى مـرسى، فما تخونوش الأمانات، ولا توقفوا المراكب السايرة!

ساعات كتير بنأجّل حاجات نفسنا فيها قوي، وشايفين فيها خلاصنا، خوفا من إنها تطلع فشنك هي كمان، فنبقى ضيعنا على نفسنا حتى الأمل!

الهاجس الأكبر لينا، إننا نعدّي على الدنيا بلا بصمة ولا أثر، وما نبقاش فارقين مع حد!

يمكن عشان كده بنحب ونكتب ونغني ونرسم ونمثل ونرقص ونكتب على السوشيال ميديا ونعمل مشاريع، عشان حد ياخد باله مننا، ويلاقي صفات مشتركة معانا فيشاركنا الرحلة، ونتسند على بعض.

وللسبب نفسه بنتجنن لما نكتشف زيف اللي كنا فيه، والخذلان بيبقى مضاعف، لأنه فرّغ كل اللي حصل من معناه وخلاه قشرة، عيرة، عدم، وخوّفنا من اللي جاي، ولخبطنا، وخلانا مترقبين النهاية نفسها ولو بعد حين!

إحنا في منتهى الهشاشة.. منتهى الاحتياج.. منتهى الطفولة.. وفي الغالب بنرضى بحاجات عبيطة وهبلة لو كانت صادقة ومن غير ماكياج.

لكن على الجانب الآخر، بعض الناس حساباتها أكثر تعقيدا، ودخولهم حياتنا بيبقى مشفوع بخطط وتوقعات ومكاسب وتطلعات وليلة كبيرة سعادتك، وللأسف ما بنكتشفش ده دايما غير بالطريقة الصعبة!

والمشكلة الأكبر مش إن الحياة صعبة، لكن إنها كان ممكن تبقى أجمل من كده بكتير، وأحلى، وأكثر حقيقية، لو حاجات بسيطة

اتغـيرت، ونـاس بعينهـا فضلـوا معانـا وكانـوا قـد كلامهـم ووعودهـم الـلي مـا أجبرنهومـش عليهـا بالمناسـبة!

ورغـم إن الـكل بيخـسر في النهايـة، حتـى الـلي عامـل نفسـه بُـرم وفاهـم كل حاجـة ومسـدد كل الخانـات، ماحـدش بيتعلـم ولا بيسـتوعب الـدرس، وليـوم القيامـة هيفضـل الإنسـان أغبـى مـن إنـه يـدرك قـد إيـه الحيـاة تافهة وهينة ومش مستاهلة اللي بنعمله في بعض ده والله!

أغلـب مشـاكلنا نابـع مـن إننـا مـا بنعرفـش نختـار صـح: الحبيـب/الصديق/التجربة/الشـغل... وإننـا بـدل مـا نصـبر ونجتهـد لحـد مـا نلاقـي الـلي عـلى مقاسـنا، بـنرضى باللـي بنلاقيـه في سـكتنا والسـلام، ونحـاول نأيّـف مشـاعرنا عليـه بـأي شـكل ونقنـع نفسـنا إن هـو ده!

لكـن مـع أول اختبـار حقيقـي، وأول لحظـة اختيـار حـرة، كل شيء بيبـان، وبنكتشـف الفـخ الـلي وقعنـا فيـه، وسـاعتها، فيـه مننـا الـلي بيكابـر ويكمـل ويـرضى بنصيبـه ويتفـرج عـلى الحيـاة مـش يعيشـها، والـلي بيلـف ويرجـع تـاني مهـما كانـت الخسـاير، والـلي بيعانـد القـدر ويحـاول يغـير المقـدر، ويفضل يـزق لقـدام لحـد مـا يخـسر الجلـد والسـقط!

يمكـن لمـا نحـب نفسـنا بالقـدر الـكافي، ونتعـود نسـمع لهـا، ونفهمهـا، ومـا نقامـرش بالوقـت ومسـاحات الـبراح جوانـا ونبطـل نتعامـل مـع القلـب عـلى إنـه كـورة شراب مهـما لبّسـناه في الحيطـة هـيرد لنـا تـاني، ونتخلـص من طاقـة الغضـب الـلي مليانـا طـول الوقـت، الرؤيـة هتتضـح أكـتر، وهيبقـى عندنـا بـصر وبصـيرة أكـبر لـلي يناسـبنا في المرحلـة دي والـلي مـا يناسـبناش،

للي من توبنا واللي طالع شيطاني في لحظات ضعفنا واحتياجنا، للأصلي والفالصو، للي منظر بس واللي حقيقي زي وجعنا!

لكن في كل الأحوال، لكل منا نصيب مفروض من الألم والخيانة والخذلان والتخلي والبيع والاستهانة والوجع وكسرة القلب والتوهان والحيرة والدمع وغياب الهدف وضياع الطريق، فاللهم -إن لم يكن هناك مفر- عجّل لنا قِطَّنا[1] قبل يوم الحساب.

كل يوم لما بنزل عند بوابة 2 في مدينة الإنتاج الإعلامي، بحمل همّ المشوار الطويل اللي لازم أمشيه عشان أوصل للقناة اللي شغال فيها.

في أيامي الأولى في المكان كنت بستحي أشاور لعربيات الزملاء اللي بتمر عليا، رغم إنها كده كده هتعدي على القناة يعني ومش هكلفه بنزين زيادة بركوبي، على أمل إن حد يحس بيا ويقف لي من نفسه، والنتيجة إني كنت بمشي تحت رحمة الحر البشع والعرق والنهجان لحد ما أوصل مقطوع النَفَس!

بعد فترة، ما بقيتش قادر أتحمل، خصوصًا في نهار رمضان، فاتجرأت شوية تحت وطأة الإرهاق، وبدأت أشاور بخجل، لكن للأسف، مرة ولا اتنين بس اللي عربية وقفت لي، وفي أغلب الحالات، كانوا بيمرقوا من قدّامي بسرعة بدون حتى التفاتة، وأنا غرقان في الحرج!

مرة ورا التانية قرّرت بشكل نهائي ما عدتش أشاور لأي عربية، ولا أستنى أي حد، وأكمّل لوحدي، مهما اتقورت من الشمس واتعميت

(1) قطَّنا: عذابنا، صحيفتنا، حسابنا.

مـن العـرق، أنـا الـلي اخـترت الشـغل ده وكنـت عـارف مـن الأول ظروفـه فـلازم أسـترجل وأحاسـب عـلى مشـاريبي للنهايـة.

وده بالظبـط الـلي بيحصـل في العلاقـات فاقـدة الأهليـة، الـلي فيهـا طـرف بيسـفّ حقـوق الطـرف التـاني بسـيف الحيـاء!

في الأول، بتسـتحي تطالـب بحقـك، وبالـلي المفـروض يحققهولـك، عـلى أمـل إنـه يحـس عـلى دمّـه، وتفضـل تتحمـل تبعـات كل حاجـة لوحـدك، وتـزق العلاقـة لقـدّام، لحـد مـا تتعـب في النهايـة، وطاقتـك تنفـد، فتتجـرأ وتطلـب بخجـل، لكنـه -للأسـف- بيبقـى اتعـوّد عـلى الأخـذ بـس، ومـا عنـدوش أوبشـن العطـاء، فمـرة يديـك -مضطـرًا عشـان يخليـك متمسّـك بالأمـل- وعـشر مـرات يحرمـك، لحـد مـا تصعـب عليـك نفسـك وتتأكـد إنك بتحـارب طواحـين الهـوا، فتقـرر مـا عـدش تشـاور لـه ولا تسـتناه أو تسـتنى غـيره، وتمـشي الطريـق وحـدك، مهـما اتقـوَرت مـن الشـمس واتعميـت مـن العـرق، لأنـك مـش عايـز تتأخـر أكـتر مـن كـده عـن حياتـك الـلي تسـتحقها.

فالسـير مـن غـير حمـل عـلى ضهـرك، أفضـل مليـون مـرة مـن إنـك تمشي وشايل حد على قلبك!

إحنـا بنظهـر قـدّام النـاس بالشـكل الـلي يقـدروا يسـتحملوه، بنهـذّب الهزيمـة والحـزن والخـذلان ونقصقـص ريشـهم ونطبطـب عليهـم ونحايلهـم، عشـان نقـدر نبتسـم، ونتعامل. الـلي جوانـا لـو انعكـس فعـلا عـلى وشوشـنا، الناس هتموت من الرعب!

واعلم -أعزّك الله- أن الوصلَ مقطوعٌ وإن طال، واللقا منفضٌّ وإن أينع، والتداني منبتٌّ وإن تكرّر، فاسكن، وأَقِم في الحال التي أقامك الله فيها، حتى تزول إلى غيرها، دون تذمرٍ ولا شِكايةٍ ولا تعجلٍ ولا تنمّرِ ولا تذلّلِ ولا تطرّفٍ، فلا يعلم أحدٌ ما خُبّئ له، وهل ما استقبل من أيامه أفضل أم ما استدبر.

أكبر خطأ ترتكبه في حياتك: إنك تتكسف، أو ما تعرفش تتكلّم عن نفسك، وعن قدراتك، وتسيب الآخرين يقيّموك، وإنت فاكر إنهم هينصفوك ويدّوك حقك!

ماحدش بينصف حد، ولا بيدّي له قدره!

الناس طول الوقت بتحكم عليك من خلال عُقدها، وخلافاتها، ومشاكلها، ومزاجها الشخصي، وغيرتها، وحقدها، لحد ما هتلاقي نفسك فجأة بقيت واقف في منطقة رمادية، مُحرج تتكلّم وتقول إنك أكبر من كده، وفي نفس الوقت مش قادر ترضى بالمكان اللي حطّوك فيه، فتبدأ مرحلة عبثية جديدة من حياتك، مليئة بالصراع والنكوص ومراجعة الذات والإحساس بلا جدوى الحياة والرغبة في تحطيم كل شيء، والعودة لنقطة الصفر من جديد!

عشان كده تفضل مقولة الإمام علي هي الأعظم في مجالها: لا تدعنّ جهل الناس بك يغلب علمك بنفسك.

ولعلّ للإنسان أن يرى أحيانًا ما تقود إليه الخيوط، لكنه يدّعي العمى، كي لا يغيّر وضعًا اعتاده، أو يتحمّل تبعات جديدة، أو يضطر للاعتراف بما يكره، أو اتخاذ ما يخالف هوى نفسه!

إنه يحب الظلام الذي يعيش فيه، ويكره من ينيره له!

بتسأل ازاي هو قدر يطنّشك ويتجاهلك تمامًا كده، وما يفتحش صفحتك على فيس بوك، ولا يتابع أخبارك، ولا عاد ليك مكان في حياته من بعيد أو قريب، بعد ما كنتم -حرفيا- روح واحدة في جسمين؟

افتكر الحد اللي إنت حبيته قبله -في أي مرحلة من حياتك- وفقدت شغفك بيه -لأي سبب كان- وازاي قلبك جمد من ناحيته فجأة وما بقاش فارق معاك بأي شكل من الأشكال، ولا مهتم تعرف عنه أو ما تعرفش أي حاجة!

هو كمان تجاوز شغفه بيك زي ما تجاوزت شغفك باللي قبله، لكن إحنا اللي ما بنحسش بالظلم غير لما يكون موجه لينا بس!

آليات التدمير الذاتي اللي بنتبعها مع نفسنا بارعة للغاية ومتنوعة طول الوقت: التدخين، الشرب، النوم فترات طويلة لتجنب مواجهة أي شيء، الدخول في علاقات يائسة معروفة النهاية، إدمان مواقع التواصل الاجتماعي، العمل بوظايف لا بنحبها ولا بتشبعنا ولا بتضيف لينا أي جديد، وصولا إلى استمرارنا في الدنيا بالقصور الذاتي فقط، وبلا أي خطة لأي شيء، لدرجة إننا بقينا بنتفرج على الحياة بس، مش بنعيشها!

بـل إن بعضنـا لـو جـات لـه الفرصـة لتغيـير ده، بيرفـض، زي الـلي عـاش طـول عمـره في السـجن وخايـف يخـرج لمايعرفـش يتـصرف!

وبعضنـا بيتطـرف في إيـذاء نفسـه، عشـان يسـد بـاب أي حـل، ويكبـد نفسـه خسـائر لا يمكـن تعويضهـا فيفضـل واقـف في نقطـة الولاحاجـة الـلي عـلى قـد وجعهـا فهـي عـلى مقاسـه، ومفيـش فيهـا مفاجـآت أو تغيـير ممكـن مـا يقـدرش يتكيـف معـاه!

ومـع الوقـت بنتأكـد إن كلنـا مـرضى بدرجـات متفاوتـة، ومحتاجـين مسـاعدة، بـس مـش عارفـين نـروح فـين، ونطلـب ده مـن مـين، فنبـدأ -لا إراديـا- نبعـت رسـائل اسـتغاثة لـكل الـلي حوالينـا، لكـن بيبصـوا عـلى ضحكنـا وتمثيلنـا ومداراتنـا ومـا يصدقـوش!

وفي الغالـب، هنكمـل كـده: بحياتـين، واحـدة في النـور وعـلى السوشـيال ميديـا بربـرق، والتانيـة في الضلمـة: أشـباح وآلام وأحـلام مقصوصـة الريـش ووجع وفرص ضايعة وخذلان وأمنيات عازمة بالرحيل!

زي لمـا تشـتري أكلـة نفسـك فيهـا وتدفـع فلـوس كتـير، وتكتشـف إنهـا سـيئة جـدا، ومـع ذلـك تقـرر تاكلهـا استخسـارا واسـتهانة بالـضرر الـلي ممكـن يحصـل لـك بسـببها.

فيـه علاقـات حـب كـده، رغـم إنـك بتدفـع فيهـا مشـاعر كتـير ووقـت وصـبر وأحـلام وتوقعـات، بتكتشـف إنهـا فالصـو، ومـش بتاعتـك، وضررهـا أكـتر مـن نفعهـا، ومـع ذلـك بتكمـل فيهـا استخسـارا برضـه!

بس خلي بالك: الأكل المعيوب، ليه غسيل معدة، لكن الحب المعيوب ملوش غسيل قلب!

لو بتبذل مجهود كبير عشان تحتفظ بالطرف التاني في العلاقة، وبتستحمل وتصبر وتطنش مواقف كتير، يبقى فيه حاجة غلط. فيه نغمة نشاز في اللحن، رقم ناقص عشان المعادلة تتحل. فالأصل في التواصل الإنساني: التكافؤ والندية، أقدّم السبت تقدّم الحد، أرخي في موقف، ترخي في موقف، لكن لو فيه حد متمسك أكتر من التاني، معطاء ومضحي أكتر، يبقى غالبا مضحوك عليه وبيتم ابتزازه عاطفيا! صديقة كانت بتحكي لي عن حبيبها اللي ما كانش بيخرج معاها غير أول الشهر بس ويقول لها بهزار العزومة عليكي عشان تحللي المرتب، ويسيبها تحاسب فعلا، مع إنه كان بيبقى قابض برضه! وصديق بيحكي لي عن حبيبته اللي ما كانتش بتطيقه يحكي لها عن مشاكله، فيما إنها ليل نهار ما بتبطلش شكوى من طوب الأرض! العلاقات دي شديدة السمية، وبتستنزف الطاقة تماما، والأسوأ إنها ما بتنتهيش بسهولة لأن دايما فيه مساحة من الشك إننا ممكن نكون ظالمينه، طب ندي له فرصة، طب نستنى شوية، لحد ما العمر يتسرب من بين إيدينا زي قطرات المطر! إحنا بنحب عشان نلاقي نفسنا، عشان يبقى عندنا مبرر نصحى الصبح، عشان نتقدم وننجز ونتحقق، عشان نضحك ونطنطط من الفرحة ونرجع عيال، عشان يبقى بالنا مرتاح وقلبنا واثق ويقيننا مكتمل. فلو ما كانتش العلاقة بتقدم لك كل ده، يبقى تقف وتقلع ملط في وسط الشارع وتقول لهم: لا ده أنا أروح فيكم في داهية، وتقطع عرق وتسيح

دم وتهرب بقلبك وعقلك وإنسانيتك من الضلال ده، وتكرتنهم وتقفل عليهم في خزنة حديد بكلمة سر، لحد ما تلاقي اللي يقدّرهم صح. القلب مش بعزقة!

إحنا دايما أجبن من إننا نحقق أحلامنا، أو ندفع تمنها ونتحمل مسؤوليتها، وفي لحظة المواجهة هنخترع أي حجة في الدنيا عشان نفضل زي ما إحنا!

إحنا بستعذب الألم وبنفضله في أحيان كتير حتى على نوال اللي بنتمناه من قلوبنا!

إحنا مختلين وملعونين وضعفا ونستحق عذابنا!

واعلم أن مِن البَشر مَنْ لَم يُقدَّر له -في هذه الدنيا- وصلٌ ولا حِلٌ ولا وصولٌ، لعنته أن يجري فقط، يُقارب فقط، يلُامس فقط، حتى إذا حمَّ القِطافُ، مات الزرعُ، أو سبقه إليه سواهُ، أو قصُرت يداه عنه، أو قامت القيامة خصيصًا على رأسه.. فاسكن ولا تجزع.

فيه ناس لما بتنسحب من حياتهم بيقولوا بركة يا جامع، وما بيحاولوش حتى يسألوا عن السبب، أو يتطمنوا ليكون حصل لك حاجة، أحسن ترجع!

في يـوم مـن الأيـام كنـت عندهـم مهـم قـوي وفـارق ومختلـف ولا غنـى عنـك، لكـن دلوقتـي مـا بقـوش عارفـين هـم عايزيـن منـك إيـه، فبيسـيبوك تنزلـق مـن بـين إيديهـم عـادي، بـلا نـدم، ولا محاولـة لاسـتبقائك أو تفكـير في الـلي عملتـه عشـانهم، ولا الـلي كنـت لسـه مسـتعد تعملـه.

هـم عمليـين قـوي، وحسـبتهم بسـيطة ومبـاشرة: واحـد بـيروح وواحـد بيجـي، والحيـاة بتسـتمر، ومفيـش حـد لا يمكـن الاسـتغناء عنـه. عكـس حسـبتك الـلي هـم كانـوا ركـن ركـين فيهـا، وعـدم تحضـيرك ليـوم يجـي وهـم مـش في القلـب مـن اهتماماتـك.

إنـت مـش أهبـل، ولا هـم خاينـين، لكـن هـي دي طبيعـة الحيـاة، وكل واحـد بيتعامـل بأسـلوبه وبالـلي يقـدر يتحملـه. مـش كل النـاس شـبهك، ولا إنـت شـبه كل النـاس، ولازم تتعـود تتعامـل مـع النوعيـات دي مـن الصفقـات الخسرانـة مـن غـير أفـورة ولا مظلوميـة ولا شـحتفة.

أو زي مـا كانـت جدتـك بتقـول بتلقائيـة ووضـوح مُطلـق: اللـه جـاب، اللـه خـد، اللـه عليـه العـوض.

الله عليه العوض يا صاحبي.

لـن نشـفى وكل هـذا الغضـب داخلنـا، الغضـب مـن حماقتنـا، والغضـب مـن الفـرص الضائعـة، الغضـب مـما لم نفعـل، والغضـب مـما فعلنـا، الغضب مـن المـاضي، والغضـب مـن الحـاضر، الغضـب ممـن نحـب، والغضـب ممـن نكـره. طاقـة الغضـب تُحـرك العـالم، وتصنـع التاريـخ، وتصنعنـا، لكنهـا لا تنفـك تحفـر عميقـا فينـا، وتهـوي بنـا إلى القـاع أكـثر. مـن دون الغضـب

نموت ونصبح نسيا منسيا، وبالغضب نموت ونصطلي بنار الله الموقدة.. ولا خلاص!

تأتينا السعادة أحيانا فنزدريها، نُعطيها ظهورنا، ونُقيم في وجهها كل متاريس الواجب والعُرف والمفروض. ويطرقُ الحبُ أبوابنا، فنُطيع الناس فيه، ونخضعُ للصور الذهنية التقليدية، والأفكار المُعلّبة، التي أثبتتْ فشلها مئات المرّات، ونُطأطئ لقيم مجتمعٍ واهٍ، لم يُعطنا قدرَ ما أخذ منّا وانتهك خياراتنا، ونمنحه مزيدًا من السُلطة على أحلامنا، التي لا نملك سواها، حتى يساويها بالعدم!

نتصوّر دائما أن الفرصةَ ستأتي مرة واثنتين، أننا مختلفون وعاقلون وحكماء، مررنا بكل شيء، ورأينا ما يكفي، لنُحسن التصرّف دائمًا، نبالغُ في الركون لقوّتنا الداخلية، وفرصنا مع الحياة، نتجاهل النُذر والعلامات، نكبتُ مشاعرنا، حتى نفقد الإحساس بها في النهاية!

المجتمع الذي خلقناه من كل ما هو قبيح وناقص وديكتاتوري وضد وجود الإنسان، من مخاوفنا وهواجسنا وتقلّباتنا وضعفنا وعجزنا، أصبح اليوم هو الربّ، هو من يقود ويقرّر، ونحن نسجدُ له ونسبّح بحمده، ونعلّق على شماعته جُبننا، وهلَعنا من المغامرة والتفكير خارج الصندوق، وتأكيد حقوقنا في مواجهته.

إنسان العصر الحديث. يدخل النار مرّتين، مرة في الدنيا، لخذلانه نفسه، وعدم تصديق حدسه، وقَهره الذين أحبّوه، ورفعوا له رايات المودّة، ومدّوا أكفّهم نحوه، يبحثون عن سند، وعن معين وعن ثقب

صغير في جدار مُصمت. ومرة في الآخرة، لأنه لم يدخل جنّة الدنيا، ومن لم بدخل جنّة الدنيا، لم تطأ قدمه جنّة الآخرة.

إننا نحاصرُ أنفسَنا طول الوقت، ونصرُّ على الخيارات الخاسرة، وندفع بكل شيء إلى الحافة. كلما ازددنا اطلاعا على نقاط ضعفنا، تسللنا منها، وكلما لاحتْ لنا ثغرةٌ فينا انتهكناها. أعداؤنا ليسوا أخطر منا علينا، فهم يروننا من بعيد ويتسقَّطون أخبارَنا بعناء، بينما نحن ننظرُ إلينا من الداخل، وننقلُ أسرارَنا إلينا مباشرة، لنعرفَ أين يجبُ أن نطعنَ، وأين نقطعُ ونُسيلِ الدمَ.

منذ الخذلان الأول، ونحن نجتهدُ كي نجعلَه دائمًا وأبديًا، فيتكسر الخذلانُ على الخذلان، وتتوهج المحنة، ويقتات الوجعُ على أرواحنا. لقد هُزِمنا وطُعِنَّا ونُبِذنا، لأننا -منذ البداية- لم نعتقد أننا نستحق النجاح!

لما بتتجرح أول مرة، بتصبّر نفسك بإنك اتطّعمت خلاص وخدت حصانة، وفي وقوعك الجاي هتبقى أقوى وأكثر وعيا، لكن اللي بيحصل هو العكس تماما، لأنك ساعة الملامسة -لا إراديا- بتستدعي الجرح القديم وتوصله بالجديد في مساحة ممتدة من الخذلان.

مفيش حصانة ضد الألم، ولا مناعة من الوحدة وآخر سلام إيد وآخر بُق في العلاقة، هزايمك هتفضل دايما هناك، في أبعد -وأقرب- نقطة من قلبك، مستنياك تقع وتركع، عشان تحفّل عليك!

التفاصيل الصغيرة أكتر حاجة بتجرح بعد انتهاء العلاقات، يمكن لأنها بتتجمع وتتكاتر عليك في لحظات الوهن وتذبذب اليقين والوحشة والبحث عن علامة وطريق!

ويمكن لأنها كانت عفوية ومش مترتب لها ومش منتظرين من وراها حاجة فعمرها أطول وإيدها طايلة!

ويمكن لأننا ما بناخدش بالنا منها ونفهمها غير لما يبقى عندنا وقت كبير وتقيل بعد انتهاء كل شيء!ويمكن لأن تركيزنا طول الوقت بينصبّ على القرارات الكبرى والخطوات المصيرية فبتتزحلق من قدام عنينا وتستوطن المنطقة الضلمة في المخ في انتظار لحظتها!

التفاصيل الصغيرة ما بتنساش تارها، ولا بتفرّط في حقها، بتديك كل الوقت اللي إنت عايزه عشان تهمّشها وتكمل حياتك من غيرها، وتقتنع إنها أصبحت أثرا بعد عين، لحد ما الطريق يخلى لها تماما، فتطلع من حفرة النسيان على مهل، وبتؤدة، وتكشر عن أنيابها وتنهشك!

التفاصيل الصغيرة.. هولكوست العلاقات المهزومة!

أحيانا بتبقى فيه حاجات لو عملتها هترتاح، لكن ما بتعملهاش، تشبّعك بالألم بيخلق بينك وبينه روابط خفية، لا إرادية في أغلب الأحيان، بتثبّطك عن تغيير وضعك بكل الطرق، ولو أضفنا لده انعدام طاقتك، وعدم ثقتك في أي شيء، واكتفاءك من كل شيء، هتبقى المحصّلة: خط طويل من اللامبالاة بالعالم، وانتظار المزيد من سخافاته بحياد،

وتساوي جميع الخيارات، وانتهاء جميع الطرق إلى نتيجة واحدة مفادها: مفيش فايدة!

إحنا بنختار غلط طول الوقت، بنختار اللي مش هيمسك فينا ساعة ما نحتاجه، ويفكر في مصلحتنا زي ما بيفكر في مصلحته، وبنبقى شايفين ده ومتأكدين منه، ومع ذلك بنكمّل، بنمشي زي المنوّمين، وإحنا بنطمّن نفسنا إن المعجزة هتحصل أكيد، ويحبنا زي ما بنحبه، أصل ليه لأ، وإحنا قايدين له صوابعنا العشرة حب!!

لحد ما تيجي لحظة المواجهة، لحظة الدخول من الباب الضيق، فنكتشف إن زيّنا زيّ غيرنا بالنسبة له: مجرد سلالم، ممرّات، نفق بيعدّي منه للناحية التانية لعبادة ذاته!

أكثر الحروب قسوة، تلك التي نخسرها دون أن نعرف حتى أننا دخلناها!

مهما قرّبت من حد، وتخيّلت إن ماعادش بينكم حواجز، بتفضل واقف عند عتبة معيّنة، سِدْرة منتَهى ما بتتخطّاهاش، فمهما بتتصوّر إنك فاهم الشخص ده وعاجنه وخابزه، وعارف كل حاجة عنه زي كفّ إيدك، تصوّرك بيبقى خاطئ وهزلي!

عشان كده بتتفاجئ في أوقات كتير بتصرفاته وردود فعله، وبتحس إنك ما تعرفوش، لأن دي الحقيقة فعلا: إنت ما تعرفوش!

طول الوقت، كلّ واحد مننا جوّاه صراعات بيحاول يواجهها، ولعنات بيحاول يهرب منها، ومِحَن وانكسارات بيحاول يداويها، وجروح بيحاول يضمدها، وخيانات وخذلانات بيحاول يتخطّاها، وده مش سهل، فلما بنتقابل للحظات في مشوار الحياة: بنخلق سياق مغاير للي إحنا غرقانين فيه، بس مش منفصل تماما عنه، ولا غير قابل للتأثر بيه، والانسحاق تحته أحيانا.

فيا ريت نكون أكثر رحمة ببعض شوية، أكثر فهما وتقديرا للضعف البشري، أكثر قدرة على الطبطبة وجبران الخاطر، وما نتعالاش على بعض، أو نستغلّ بعض، أو ننتهز الفرصة ونطلّع غلّنا في اللي قدامنا، أو نحاول نلبّسه العمه ونخليه يحاسب على مشاريبنا ويدفع تمن غلطات غيره!

قليل من الرحمة فقط ما يحتاج إليه أحدنا من الآخر في محنة الحياة، ليس الفهم الكامل، ليس المعونة الكاملة، ليس الدعم الكامل، فقط قليل من الرحمة، لتصبح أوقاتنا محتملة ولو درجة واحدة أكثر مما قبل لقائنا، وإلا فلا قيمة لهذا اللقاء، وقلّته أحسن!

أكتر حاجة بنفتقدها في اللي سابونا ومشيوا: إنهم ما عادوش هيعرفوا عننا أي حاجة؛ انتصاراتنا الصغيرة، هزايمنا، دموعنا، وحدتنا، كوابيسنا، وجع قلوبنا لمّا النور يقطع، رعشة إيدينا لما العصفور – آخر ما تبقى منهم- يموت في القفص، عيوبنا اللي عالجناها عشانهم

ومخاوفنا اللي اتغلبنا عليها بسببهم، طموحاتنا الجديدة وأحلامنا لبكره، لبسنا الجديد عشان نعجبهم، الأغاني اللي بقينا نحبّها بفضلهم وشوقنا الجارف ليهم اللي ما عادش من حقنا نعبّر عنه!

زي ما نكون ما اتقابلناش في العالم ده، أو اتقابلنا صدفة في مواصلة من غير ما حد فينا يلفت نظر التاني، أو اتقابلنا وعنينا جت في عنين بعض بس ما حدش عرف التاني!

كانقطاع الحبل السُرِّي بينا وبين أمهاتنا مرة واحدة وللأبد، والاضطرار لمواجهة قبح العالم بمفردنا تمامًا، وتحمّل نصيبنا من المسؤولية الثقيلة، رغم عدم استعدادنا لذلك نهائيا، رغم عدم رغبتنا في هذا نهائيا، ورغم أن القلب -ذلك الهش الهش!- لم يعد قادرًا على مقارعة كل هذا الوجع!

ساعات بتزعل على الفراق.. مش عشان انتهاء الحكاية، لكن عشان كنت مؤدب بزيادة وإنت واخد شنطة ذكرياتك وماشي، وما هزأتش الطرف التاني ومسحت بكرامته الأرض، وواجهته بحقيقة انتهازيته وجبنه، واستحقاقه اللعن مع كل المهوسين بالأخذ دون العطاء، وتعشيم الناس -كذبا- بالنوال دون الوفاء، واللعب -عمدا- على كل الحبال، وعدم أهليته لتحمل علاقة حقيقية.

لكن.. تدور الدوائر دائما وتتبدل الأدوار في أي لحظة، فإذا الظالمُ مُنتَهَكٌ مخذول، والمظلوم مجبورٌ مسرور، والله من وراء الكل حَكم وقدير.

لم أنسكِ يومًا، لكن غيابكِ أصبح كالعاهة المستديمة، كلّ يومٍ أستيقظُ صباحًا لأنظر إليها، ولا أجد شيئا في يدي لأفعله، فأشد الغطاء على عيني.. وأنام!

إننا بارعون في خداع أنفسنا، وصنع عالم كامل من الأوهام والصور غير الحقيقية، أساتذة في التقمّص والتلهّي واصطناع الحالات والمشاعر، والدخول من الأبواب الضيقة والشوارع الخلفية، فنانون في عدم الاعتراف بالواقع، والإصرار على حبس أنفسنا في فكرة، أو لحظة، أو حالة، لا عن كراهية لذواتنا، أو رغبة في التنكيل بها، لكن طمعًا في تحقق ما نحتاج إليه بشدة، وخوفًا من تغيير أوضاع اعتدنا عليها، وفزعًا من الخروج من المألوف لعشوائية الاحتمالات، ورعبًا من أكبر شبح يخيفنا جميعًا بلا استثناء، ونهرب من الاعتراف به طول الوقت: الوحدة!

نحن لا شيء بالنسبة لبعضهم، لدرجة أنهم يتخذوننا مَعْبَرًا ينفذون من خلاله للطرف الآخر من التجارب والخيارات، ثم لا يكلّفون أنفسهم حتى النظر إلى الوراء ليروا كيف أصبحنا أو كيف سنتعامل مع حقيقة أنهم -حرفيا- استعملونا ثم تخلصوا منا دون مبالاة!

عدم الإنسانية في مثل هذه التصرفات لا يقدح فقط في هؤلاء الأشخاص، إنما في الإنسانية عمومًا التي أنجبتهم وأمدّتهم بأسباب البقاء والخداع حتى اللحظة التي كشفوا فيها عن وحشيتهم، ثم هي تستمر في مداراتهم ونفعهم حتى يقرّروا هم أن يكتفوا أو لا يقررون!

أيام شريرة!

عندمـا تجلـس لتراجـع دفـتر الخيبـات، وتقلّـب أوراق الهزيمـة، وتحـاول تحديـد مسـاحة الجـرح التـي تزيـد باطّـراد، ووضـع رقعـة جديـدة عـلى ثقـوب الـروح التـي تتكاثـر ذاتيـا، وتتسـاءل: هـل أحبّنـا أحـدٌ مـن قلبـه حقًـا؟ تكتشـف كـمَّ المغالطـات المُرعـب الـذي بلعتَـه سـعيدًا، والمواقـف والعبـارات والأحـوال التـي كان ينبغـي لـك الوقـوف عندهـا، ولم تفعـل، والأوهـام التـي كنـت تنسـجها وتعيـش في ظلّهـا، دون حسـاب أو مراجعـة، والنُـذر والعلامـات والإشـارات التـي لم يكـفّ الكـونُ كلّـه يومًـا عـن إرسـالها لـك، ولم تكـفَّ يومًـا عـن تجاهلهـا، لقـد كنـتَ أنـتَ أكـبر عـدوٍّ لنفسـك وليـس الآخريـن، عندمـا لم تقـدر ذاتـك حـقّ قدرهـا، وعندمـا سـمحتَ لمـن لا يسـتحق أن يدخـل حرمـك، ويسـكن قلبـك، عندمـا عشـتَ كفيفًـا وأنـت بصـير، وأصـمّ وأنـت سـميع، وحزينًـا نافـرًا موجوعًـا مسـتلبًا وعـلى هامـش الحيـاة، وأنـت خليفـةُ اللـه في أرضِـه، فيـما أكملـوا هـم طُرَقهـم وأقدارهـم، وعـبروك بـلا لحظـة تـردد واحـدة، كأن لم تُخلَـق، أو تلتقـي عيونكـم ذات حـبٍّ، واليـوم أنـت -اعـترف- لا تدفـع ثمـن طيبـة قلبـك ولا حبـك ولا تضحيتك ولا إيثارك، إنما ثمن غبائك.

أحيانـا لا تكـون المشـكلة الكـبرى في الفـراق، إنمـا في سـهولة التخـلّي، وسرعـة البيـع، ودقـة توجيـه الطعنـة للقلـب -فـلا تقـوم لـه قائمـة بعـد ذلـك- في هـوان الأيـام الحلـوة، وسرسـبة الذكريـات كحفنـة مـاء مـن بـين أصابـع مفتوحـة لا مباليـة، في مفاجـأة الفقـد دون توقّـع، والعـودة بـلا وليف على غير انتظار، والاضطرار لبدء كل شيء من جديد!

فيـه نـاس وهـي طالعـة مـن حياتـك، بتثبـت لـك إنـك كنـت حـمار مرّتـين: مـرّة يـوم مـا عرفتهـم، ومـرّة يـوم مـا أدركـت استحالة اسـتمراركم مـع بعـض، ومـع ذلـك كمّلـت، خوفًـا عليهـم، وعـلى ذكرياتكـم سـوى، وعشان كان عندك أمل يحسّوا على دمّهم، ويبقوا بني أدمين في الآخر!

اللي بيبعـدوا بمزاجهـم فجـأة، ويحطـوا حـدود بينـا وبينهـم مـن غـير تبريـر ولا اسـتئذان، لأجـل غـير مسـمى، لازم يتحمّلـوا العواقـب بعـد رجوعهـم: ممكـن نكـون لسـه زي مـا إحنـا، وممكـن نكـون اتغيرنـا وبقينـا نـاس تانيـين، ممكـن نلاقـي مسـاحة ليهـم ونتقبلهـم زي مـا هـم، وممكـن يكـون أوانهـم فـات وأواننـا بـدأ.

مـا دمنـا مـا كنّـاش طـرف في قرارهـم بالبُعـد، مـش مـن حقهـم يبقـوا طرف في قرارنا بالاستمرار معاهم من عدمه.

اللي بيسـحلونا معاهـم، وبيخلّونـا نتمنّـى المـوت سـاعات عـلى وضعنـا معاهـم -اللـي هـو لا أون ولا أوف!- مـش شرط يكونـوا بيعملـوا ده بوعـي وبنيّـة مبيّتـة للإيـذاء.

كلّنـا فطرتنـا اتشـوّهت ومـا بقينـاش قادريـن نشـوف صـح ونختـار صـح ونقـرّر صـح، كلّنـا بقينـا عاجزيـن نشـوف الخـط المسـتقيم أقـرب طريـق بـين نقطتـين واتعوّدنـا نلـف ونـدور حوالـين الحاجـات!

وسـاعات بيبقـى مجـرّد سـوء حـظ إننـا نقـع مـع حـد بيئذينـا غصـب عنـه، وهـو مـش فاهـم ده، ومـش بيعملـه عمـدًا ولا فاهـم بيعمـل كـده

ليه، صحيح ده ما يعفيهوش من المسئولية ولا بيخفف الوجع طبعا، بس معرفتنا بده، على الأقل بتحط النقط على الحروف وتهدم أسطورة المظلومية اللي عايشين فيها طول الوقت واعتقادنا الكلاسيكي بعدم أهليتنا للحب.

المشكلة أن القلب لم يعد يتسع لمزيد من الطعنات والبهاليل والمجانين والمخادعين والأفاقين والقُصَّر والضالين والمرضى والمترددين والباحثين عن تجارب مسلية والمعوقين فكريا والهائمين والخاذلين!

لم يعد يتسع!

محتاجين نقتنع إن الحاجات مشيت ومش راجعة تاني، والأشخاص فارقوا حقيقي ورموا جذورهم في قلوب غيرنا واتخطّونا، والطرق القديمة انتهت فعليا تحت رجلينا ومهما عاندنا القدر وكمّلنا فيها مش هتوصّلنا لأي مكان.

لكن اعتقادنا الطفولي إن كل حاجة تمام ومفيش شيء اتغيّر وإنها مسألة وقت بس وكله هيظبط، بتحبسنا في دايرة اللافعل للأبد، وتخسّرنا مش بس اللي موجود بالفعل لكن اللي جاي بعد شوية كمان، وبرضه اللي راح مش راجع!

اللي راح مش راجع.

(أسهل حاجة بيعملها الراجل في العلاقة اليومين دول: يهرب!

ياخد اللي فيه النصيب ويقفل تليفونه، يعمل بلوك، يختفي، من غير ما يوضّح بقى، ولا يبرر، ولا يصون العيش والملح ولا يقفل الأقواس المفتوحة ولا يجاوب علامات الاستفهام.

يهرب وبس، واللي يحصل يحصل!

الراجل عموما ما بيحبش يحسم، يمكن يحتاج العلاقة دي في يوم، يمكن الظروف تتغير، يمكن يجد جديد، فيحاول تاني يوصل الود، وساعات بينجح!

والثغرة الوحيدة في الحبكة دي: ربنا اللي ما بينساش، واللي بيدبر الأمر من فوق سبع سماوات، واللي قادر في لحظة يقلب الترابيزة على دماغ اللي ظلم واستهون وباع واستندل.

ساعات بنحس بضيق وخنقة وعدم قدرة على الاستمتاع بأي شيء، وما بنبقاش عارفين ليه، لكنه في الغالب بيكون ذنب ارتكبناه ونسيناه، قلب مسالم وأليف جرحناه في عز ما كان محتاجنا، مساحة بيضا لوّناها بسواد قلوبنا بدون مبرر.

بمعنى آخر: الفواتير كلها لازم هتتسدد هتتسدد، فادفعها بنفسك وفي ميعادها، قبل ما تتسدد غصب عنك بفوايد باهظة ما تقدرش عليها.

أكبر غلطة بنرتكبها عمومًا في العلاقات: إننا بنِعرض نفسنا!

يعني بنبادر بالإعراب عن المشاعر بعفوية، ونطلب نبقى مع بعض على طول، ونقترح نشاطات مشتركة نعملها سوا، ومساحات للمودة نكون فيها مع بعض، اعتقادًا إن تقييم الطرف التاني هيكون زي تقييمنا للموضوع بالظبط، فيلا بينا نستمتع. (أمال بنتنيل نحب ليه؟!)

بس في الوقت اللي بيبقى قصدنا حاجة، بيفهم هو حاجة تانية، وبيستخف بينا وبحماسنا، وبيعتبر دي علامة على إنه أصبح شخص ما نقدرش نستغني عنه في حياتنا، ما يخوّله سلطة أكبر في التعامل معانا، ويدي له صلاحيات ما خطرش ببالنا نديهاله، وصولا لإنه ممكن يزهدنا في اللحظة التالية لما يحس إننا مدلوقين عليه كده، وإن ما بقاش فيه تحدي يخوضه عشان ينال إعجابنا!

بمعنى آخر: العفوية والتلقائية في التعبير عن المشاعر، والصدق والأريحية والطيبة، غالبا بتودّي في داهية، لكن الخبث والحوارات والتقل والصنعة والإيحاء بإننا مش فاضيين له طول الوقت وإن لينا عوالمنا الخاصة وحياتنا، وكرم أخلاق مننا بس إننا بندي له شوية وقت منها، هيخليه مشدود زي الوتر طول الوقت ومستني مننا إشارة عشان يجري يلبي احتياجاتنا وهو مبسوط وحاسس بالإنجاز!

حكمة العدد: "التظاهر" و"الادّعاء" في العلاقات -للأسف!- سيّدا الأخلاق!

اللي ما بيعرفوش يتعاملوا مع جانبك المظلم: مرتزقة مش أحباب، بياعين بالقطعة مش تجّار شاطرين التجربة علمتهم ياخدوا كل حاجة باكديج واحدة وبعدين يتصّرفوا!

فيه حاجات/قرارات بتفضل تهرب من إنك تعملها، أو تقرّب منها حتى، لأنها آخر حاجة متوقّع إنها تبهجك، وتغيّر مودك، وتحرّك مشاعرك، فبتفضل تأجّل فيها، وتماطل، وتسوّف، وتتحجّج، لأنك خايف تعملها وبرضه ما تحسّش بحاجة، وما تلاقيش نفسك، فتفقد آخر أمل في الخلاص!

الهاجس الأكبر لينا، إننا نعدّي على الدنيا بلا بصمة ولا أثر، وما نبقاش فارقين مع حد!

يمكن عشان كده بنحب ونكتب ونغني ونرسم ونمثل ونرقص ونكتب على السوشيال ميديا ونعمل مشاريع، عشان حد ياخد باله مننا، ويلاقي صفات مشتركة معانا فيشاركنا الرحلة، ونتسند على بعض. وللسبب نفسه بنتجنن لما نكتشف زيف اللي كنا فيه، والخذلان بيبقى مضاعف، لأنه فرّغ كل اللي حصل من معناه وخلاه قشرة، عيرة، عدم، وخوّفنا من اللي جاي، ولخبطنا، وخلانا مترقبين النهاية نفسها ولو بعد حين!

إحنا في منتهى الهشاشة.. منتهى الاحتياج.. منتهى الطفولة.. وفي الغالب بنرضى بحاجات عبيطة وهبلة لو كانت صادقة ومن غير ماكياج.

لكن على الجانب الآخر، بعض الناس حساباتها أكثر تعقيدا، ودخولهم حياتنا بيبقى مشفوع بخطط وتوقعات ومكاسب وتطلعات وليلة كبيرة سعادتك، وللأسف ما بنكتشفش ده دايما غير بالطريقة الصعبة! والمشكلة الأكبر مش إن الحياة صعبة، لكن إنها كان ممكن تبقى أجمل من كده بكتير، وأحلى، وأكثر حقيقية، لو حاجات بسيطة اتغيرت، وناس بعينها فضلوا معانا وكانوا قد كلامهم ووعودهم اللي ما أجبرنهومش عليها بالمناسبة!

ورغم إن الكل بيخسر في النهاية، حتى اللي عامل نفسه بُرم وفاهم كل حاجة ومسدد كل الخانات، ماحدش بيتعلم ولا بيستوعب الدرس، وليوم القيامة هيفضل الإنسان أغبى من إنه يدرك قد إيه الحياة تافهة وهينة ومش مستاهلة اللي بنعمله في بعض ده والله!

فيه درجة مُرعبة من الوعي المُفرِط بما يدور حولنا، بتخلّينا عاجزين أحيانًا عن إصدار رد فعل على مستوى الحدث اللي بنتعرض ليه!

كأن أعصابنا هي التي بتغطّي جلودنا -مش العكس- وبتستجيب لكل شاردة وواردة بأعلى درجة من الحساسية والإدراك!

وفي الوقت اللي بنبدو فيه متبلّدين أمام الآخرين أو عاجزين عن الفهم، بنكون خطفنا رجلنا للماضي وافتكرنا كل هزايمنا المماثلة، ومدّينا شوية للمستقبل وشوفنا نهايات الأشياء والمصير اللي مستنينا!

وساعة ما بنوصل لسقف الانفعال، لأعمق حتة في الخذلان، لأقصى منطقة في المكابدة، بنفقد اهتمامنا تمامًا بكل شيء، وبتستوي كل الخيارات، وبتتلاقى كل الطرق، حتى الوجع والفقد والخيانة والرجوع لنقطة الصفر ودفع تمن مشاريب غيرنا والنهايات الباردة الخالية من الدسم.. بتبقى مش مهم، وعكس المتوقع، بتتكوّن طبقة من الصلب على قلوبنا، ما يبقاش سهل أبدا إن أي حاجة تخترقها مستقبلا، حتى لو صادقة، حتى لو حقيقية..

درع.. بنكسب بيها حياتنا وأيامنا اللي جاية..

لكن بنخسر قدرتنا على الحب!

وصولنا للنهايات الكبرى للأشياء/العلاقات/المواقف، على قد ما بيبقى مُرعِب ومَهول، وبنتّقيه طول الوقت، وبنأخّره على قد ما بنقدر، على قد ما بيكشف لنا آخرتها إيه، وبيحطّنا أمام أسوأ كوابيسنا على الإطلاق، وبعدها ما بيبقاش فيه حاجة نخسرها!

وساعة الذروة -عكس المتوقع- جسمنا بيبقى متورّط تمامًا في الحدث، بكل طاقته وجوارحه وكيميائه، وحريص على إصدار ردود الفعل المناسبة، فيما القلب فارغ تمامًا، مُتعالي عن الحدث، محلّق، كأنه في كون موازي، حاسس بالراحة الأبدية، والسلام مع الكون كله، بلا حقد ولا ضغينة ولا خوف ولا انكسار.

لأن القلب لو تورّط هو الآخر في المعمعة، هيتفتت، ومش هنلاقيه تاني، فبيعزل نفسه عمدًا، بيشغّل مزيكا ويشرب شاي ويدخّن سيجارة في البلكونة، على ما اللحظة العصيبة تنتهي، وبعدين يستلم الزمام مرة تانية، لما يبقى قادر يستوعب ويواجه، ويقوم بدوره.

التُعساء اللي قلوبهم ما بتنعزلش، وبتتورّط في اللحظة بكل جنونها وشجنها، بتنصهر مع الأحداث، وتموت.

وبيعيشوا عمرهم الباقي كله.. زومبي.

كُتر الخذلان والخطأ في الحكم على الناس والمشاعر المهدرة ونفاد الطاقة، بيخليك -مع الوقت- تعمل سور حوالين نفسك، وتعزف عن التجربة، وتبطل تغامر وتدّي فرص للي يستاهل واللي ما يستاهلش على حد سواء، بعد ما إحساسك بالأشياء انعدم وبقت المحطات كلها شبه بعض.

واللطيف إن اللي تسبب في تحولك ده ممكن يكون أول من يتهمك بالغرور والتعالي، جهلا أو حمقا أو مزايدة أو اصطيادا في الماء العكر، لكن بتكون بطلت تهتم بكلام أي حد أو تتأثر بيه.

ومع الوقت بينخفض سقف أحلامك، وما بيبقاش المطلوب حد تشعر معاه بالسعادة، لكن -زي ما بيقول علي سالم- حد تشعر معاه بأقل قدر ممكن من الألم!

**في الغالب، لم يكن لأحدٍ أن يجرحنا،
لو لم نسمح له بذلك!**

التجـارب التـي نتعـافى منهـا هـي التـي نسـتطيع تحديـد مُدخلاتهـا ومُخرجاتهـا بوضـوح: مـاذا قدَّمنـا ومـاذا أخذنـا، وكيـف وصلنـا إلى هـذه النقطـة، ولمـاذا. الحـدود فيهـا -وإن كانـت مؤلمـة- واضحـة ولهـا مبرراتهـا.

أمـا التجـارب التـي نمـوت ونحـن نزحـف للخـروج مـن بـين براثنهـا دون جـدوى، فهـي تلـك التـي لا نملـك كشـف حسـاب لهـا، فلـم نعـرف كيـف تورَّطنـا فيهـا، ولا لمـاذا تحمَّلنـا كل مـا جـرى لنـا خلالهـا، ولا إن كانـت قـد انتهـت بالفعـل، أم أنهـا في فـترة كمـون عابـر لـن تلبـث أن تنهـض منـه لحظـة نوشـك عـلى الخـروج منهـا لعلاقـة صحيـة أكـثر.

لكـن المشـكلة الحقيقيـة أن العمـر يمـضي أسرع مـما نتخيـل، والطاقـة تتبـدد، والقلـب مثـل القلـم الجـاف الـذي تُفرغـه كـثرة التجريـب والشـخبطة، حتـى إذا احتجنـا إليـه لكتابـة قصـة عمرنـا، لم نجـد بـه مـا يكفي لتدوين سطر واحد فيها!

وليـس أكـثر بؤسًـا مـن أن تضحـك عـلى نفسـك بسـعادة زائفـة، قوامهـا نسخ الأشياء والأشخاص والحالات، كي تسدَ جوعك للونس!

إحنا فقدنا قدرتنا على الاستمتاع بالحياة يوم ما فقدنا قدرتنا على وضع أهداف طويلة المدى لوجودنا.

يعني الأكل واللبس والنوم والشغل والفُسح والعلاقات، أهداف قصيرة المدى، ومهمِّة جدا، بس كده كده بتخلص وتتجدد كل فترة بأشكال مختلفة وبصيغ مغايرة. لكن إيه اللي وراها؟

بمعنى آخر: بناكل ونلبس وننام ونشتغل ونخرج، عشان نوصل لإيه في الآخر؟

إيه "الفاينال دستنيشن" اللي عايزين نروح له؟

إيه النقطة اللي هنتوقف عندها ونقول إننا أنجزنا وحققنا، ونلتقط أنفاسنا عشان نبدأ رحلة البحث عن نقطة تحقق أخرى؟

مفيش!

لما تتكلم مع حد تلاقيه مفرَّغ وجوده تمامًا من أي قيمة.

معطَّل ملكاته وقدراته ومِسلسل نفسه في احتياجات بيولوجية بحتة دون أي مردود آخر!

أسوأ ما في الدنيا: الفُرص "الموارِبة" التي لا تأتي حتى نعرف إذا كانت فرصة فعلا أم لا. ولا تذهب، فنُخرجها من حساباتنا، ونبدأ البحث عن غيرها!

أغلى الأشياء كأرخص الأشياء، تنتهي الحاجة إليها بامتلاكها.

لماذا أغضبُ من الذين خذلوني، إذا كنتُ أنا نفسي قد خذلتني؟!

يـا اللـه.. لمـاذا منحتنـي هـذا القلـب الـذي يحـنّ أكـثر مـما يغضـب، ويسـامح أكـثر مـما ينتـصر لكرامتـه، ويلـين أكـثر مـما يقسـو، ويدنـو أكـثر مـما ينـال، حتـى اسـتحالت حياتـه ركضـا مـن وجـع إلى وجـع، ومـن عشـم إلى عشـم، فأقـام في الخـوف وفي البليـة وفي الانتظـار، وكلـما انداحـت أمامـه الجنـة حتـى أوشـك، والنـوال حتـى مـد أطـراف أصابعـه.. حُجِـب!

لمـاذا خلقـتَ الحـب والفـراق والبدايـات والنهايـات والأمـل واليـأس والحضـن والمسـافات والعشـم والخـذلان؟!

لماذا خلقتني؟!

فـإذا فُتِـحَ البـابُ.. تَشـاغَلتَ، وإذا أُغلِـقَ.. همَمـتَ. إذا لاح ثقـبٌ يعافـر فيــه النــورُ.. جفَلــتَ، وإذا أطبــق الظــلامُ.. فَزعــتَ، إذا بَــدَت المحبــةُ.. تغافلـتَ، وإذا حـضرتْ البغضـاءُ.. اشـتقتَ. إنـه قلبـك الـذي لا يعـرف مـاذا يريد من العالم، ولا يعرف أنه لا يعرف!

لما تلاقي كل الناس بتضربك بالقلم.. أول واحد هيبوس خدك هتحبه ولو كان إبليس!

هل أحبّونا حقا، أولئك الذين تركونا خلفهم دون تردد في اللحظة التي استطاعوا فيها الوقوف على أقدامهم دوننا؟

الذين لم يكلّفوا خاطرهم يومًا بالتفكير فينا، وما آل إليه حالنا بعدهم، ولم يشغلوا بالهم بأيٍ مما شاركناهم فيه عندما كنّا نعني لهم الكثير!

الذين لم يتذكرونا عندما استمعوا إلى أغنيتنا المفضلة، أو دمعت أعينهم عندما زاروا الشوارع التي احتضنت أقدامنا، أو أحسوا بنغزة في القلب عندما قابلوا الناس الذين شهدوا أيامنا معا، أو تنهدوا في أسى عندما طوّفت حولهم ذكرى لنا!

الذين مضوا كأن لم يخلقوا، وعبروا كأن لم تتقاطع طرقنا يوما، واختفوا كأن كانوا حلما تبدد إذ فتحنا أعيننا على ضوء النهار القوي!

هل؟!

اللهم لا تربِّنا بالفقد، وزوال النعمة، وكشف المستور، وتغيّر الحال، وانقطاع الأمل، وعسر المعيشة، وأعدنا إليك يا رب من باب اليقين فيك، والأُنس بجلالك، والشوق لرحماتك، وتجلّي آلائك، والطمع فيما عندك، والزهد فيما عند سواك.